بيننا وبين الانجليز

الأستاذ أبو الفتوح عطيفة

« إن المسألة الرئيسية بالنسبة لنا (الإنجليز) هي كيف يمكن أن تغادر قواتنا القاهرة في الحال »

من اللورد نورثبروك وزير البحرية الى ماجور بارنج (كرومر) في سبتمبر سنة ١٨٨٣

« إن إنجلترا حريصة على أن يظل باب المفاوضات مع مصر مفتوحا » . يونية سنة ١٩٥١

وشر البلية ما يضحك

قل يا أهل ... تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم

في سنة ١٨٨٢ احتلت إنجلترا ديارنا وقضت على الثورة العرابية وقبضت على زعمائها وحوكموا وحكم عليهم بالإعدام ثم استبدل بهذا الحكم النفي المؤبد ونفي الزعماء المصريون إلى جزيرة سرنديب

وهنا يجدر بنا أن نتساءل : لم تدخلت بريطانيا في شؤوننا واعتدت على استقلالنا ؟ إن الثورة العرابية كانت ثورة دستورية ونزاعا بين الخديو ووزرائه ، وكانت مطالب العرابيين الرئيسية تنحصر في توسيع اختصاصات مجلس شورى النواب الدستورية حتى تصبح الوزارة مسئولة أمام المجلس حتى يكون المجلس حق مناقشة الميزانية، وهو حق طبيعي للمجالس النيابية في جميع البلاد الدستورية . ومنعا لتدخل الدول استبعد المجلس حق مناقشة الجزء الخاص بالدين وبالتصفية المالية من الميزانية

ومع هذا فقد تطوعت بريطانيا بتقديم مساعداتها للخديو وعرضت عليه حمايته ضد شعبه ووزرائه الذين لم يكونوا خارجين عليه ، وقتلت أعرق أمة دستورية (إنجلترا) الروح الدستورية في مصر ، واحتلت أراضيها دون أن تعتدي مصر عليها فكان هذا العدوان أول جريمة ترتكبها في الشرق الأدنى

سياسة تقليدية :

إن بريطانيا لا تسير في سياستها الخارجية وفق خطط ارتجالية، وإنما تسير وفق سياسة تقليدية يتبعها وزراء خارجيتها مهما كان لونهم السياسي ومهما اختلفت أحزابهم . وقد كانت سياسة بريطانيا التقليدية منذ قدوم نابليون في حملته سنة ١٧٩٨ منع قيام دولة قوية في مصر، ومنع مصر من الوقوع في يد دولة أجنبية معادية . وطبقا لهذه السياسة وقفت موقفا عدائيا ضد محمد علي سنة ١٨٣٩ — ١٨٤١ والزمته أن يقبع في داخل « توقعته » مصر على حد تعبير وزير خارجيتها بالمرستون

وقد قامت المنافسة بين فرنسا وبريطانيا حول الاستئثار بالنفوذ في مصر ، وجعلت فرنسا تعمل دائما على حفر قناة السويس لتصل الشرق بالغرب مما يجعلها أقرب إلى الشرق ، أما بريطانيا فقد عملت على إنشاء خط حديدي بين الإسكندرية والسويس

وقد نجحت إنجلترا في تحقيق غايتها في عصر عباس باشا الأول ؛ إذ بدئ بتنفيذ مشروعها فأنشئ الخط الحديدي بين القاهرة والإسكندرية ، ثم أنشئ بعد ذلك الخط الحديدي بين القاهرة والسويس

أما فرنسا فلم تيأس بعد ، ورغم أن محمد علي رفض مشروع القناة قائلا « إنني لا أريد أن أجعل من قنال السويس بسفورا آخر » استطاعت فرنسا أن تقنع سعيد باشا بفوائد المشروع ، وحصلت منه على امتياز بحفره، وبدأ العمل ١٨٥٨ . فلفت إنجلترا على مصالحها في الهند، وصرح رئيس وزرائها بالمرستون ١٨٦٠ قائلا: « أخشى أن يؤدي حفر قناة السويس إلى احتلال إنجلترا لمصر » ومات بالمرستون ولكن إنجلترا ظلت تعمل دائبة على تحقيق فكرته . وفي ١٨٨٢ دون أي اعتداء من ناحية مصر احتلت إنجلترا الأراضي المصرية ثم أعلن وزراؤها منذ الساعة الأولى عزمهم على الجلاء عن مصر فورا ، ومع ذلك فحتى هذه الساعة لم تبر إنجلترا بوعدها ، وما تزال تماطل في الجلاء بل وتدعي صداقتها لمصر !!

ولم يقبل المصريون هذا الاحتلال وقاوموه منذ الساعة الأولى ، وكان أول أبطال مصر الذين حملوا علم الجهاد مصطفى كامل باشا . ثم في ١٩١٩ هبت مصر ثائرة تطالب بحريتها واستقلالها، ووقف المصريون صفا واحدا يبذلون دماءهم في سبيل

استقلالهم، وتزعم الحركة سعد زغلول باشا وعبد العزيز فهمي باشا وعلي شعراوي باشا

ولكن مصر على رغم إيمانها العميق بعدالة قضيتها لم تستطع حتى الآن تحقيق أهدافها، وهي الجلاء ووحدة وادي النيل التي أقامها محمد علي منذ ١٨٢٠ . ويرجع ذلك إلى دهاء ساسة بريطانيا مما مكن لهم من إيقاع الفرقة في صفوف زعماء مصر ونجاح بريطانيا في تحقيق سياسة « فرق تسد »

وعندي أن مصر تستطيع أن تحقق أهدافها في أقصر وقت إذا استطاع زعماؤها أن يوحدوا صفوفهم وخطتهم، وأن يقبلوا صفا واحدا رافعين لواء الجهاد وخلفهم أمة مؤمنة على أتم استعداد لبذل دمائها وأموالها في سبيل حريتها واستقلالها

وإني أضرب للقارئ الكريم مثلا يمكن به تحقيق أهدافنا بالطرق السلمية . ماذا يكون مصير القوات البريطانية في قنال السويس إذا تكتل المصريون حكومة وشعبا، ورفضوا إمداد هذه القوات بالغذاء والماء والمال، ثم امتنع المصريون عن شراء البضائع الإنجليزية، وكذلك رفضوا بيع قطنهم وحاصلاتهم لبريطانيا ؟ إنني أؤمن أن بريطانيا لن تستطيع مقاومتهم وستستجيب حتما إلى طلباتهم . وقد اتبع غاندي هذه الخطة في الهند، وبواسطتها حصلت الهند على استقلالها

إنني أنظر إلى الماضي البعيد فأرى مصر في تاريخها القديم دولة قوية، ولها إمبراطورية واسعة في وقت لم تكن فيه بريطانيا شيئا مذكورا . وفي العصور الوسطى كانت الإمبراطورية الإسلامية أقوى دول الأرض جميعا وكان اسم المسلمين يثير الرعب والفزع في قلوب أهل الغرب كافة . فماذا دها الشرق حتى استأسد عليه الغرب

قلب النظر أيها القارئ الكريم في أحوال الشرق تر عجبا ؛ فبريطانيا تحتل قنال السويس في مصر ، وتحتل السودان باسم مصر، وبينها وبين العراق وشرق الأردن معاهدة صداقة !! وهي تحتل عدن وليبيا أيضا . وأما فرنسا فتحتل تونس والجزائر ومراكش وتعتدي على حريات ملوكها وحكامها ؛ فما سر ذلك ؟

نحن قوم بلا مبادئ وبلا زعماء. إننا نريد زعماء يؤمنون حق الإيمان بعدالة قضايانا ، وإن اتحاد صفوفنا وإيماننا بحقوقنا هما الطريق إلى استقلالنا

إن أمم الغرب أعلنت أكثر من مرة بأن لكل قوم الحق في تقرير مصيرهم . وفي ميثاق الأطلنطي ١٩٤١ أعلنت أمريكا وبريطانيا أنهما تحترمان الحريات السياسية والقومية والفكرية والدينية ، كان ذلك أثناء الحرب العالمية الثانية ، وكانت الدولتان تفعلان ذلك تحذيرا للشعوب ، وضما لها إلى جانبها ، فلما انتهت الحرب تبخرت الوعود والمواثيق وذابت المبادئ

أيها البريطانيون :

إن كنتم تريدون صداقة العرب حقا فليس أمامكم إلا أمر واحد ؛ هو الاعتراف باستقلال الأمم العربية استقلالا تاما، ورد عرب فلسطين إلى أوطانهم، وبدون ذلك ان تكون هناك صداقة بيننا وبينكم، وما عدا ذلك قهراء لا يغني ولا ينفع

أبو الفتوح عطيفة
مدرس أول العلوم الاجتماعية
بمعهد الثانوية

تاريخ الأدب العربي

للأستاذ أحمد حسن الزيات بك .

يؤرخ الأدب العربي من عصر الجاهلية إلى هذا العصر، بأسلوب قوي ، واستيعاب موجز، وتحليل مفصل، واختيار موفق، ومقارنة بين الأدب العربي والآداب الأخرى

طبع اثنتي عشرة مرة في ٥٢٥ صفحة
وثمنه أربعون قرشاً عدا أجرة البريد